

أهم الأساليب التبليغية في دعوة الرسول الأكرم (ص)

الدكتور مصطفي عباسي مقدم
جامعة كاشان - كلية الآداب
فرع الاهليات والمعارف الاسلامية

إن احصاء الطرق والأساليب التبليغية للشخصيات الاسوة في القرآن وخاصة النبي الأكرم يؤدي الى وضع دائرة للمعارف في الدعوة والتبليغ وفي هذا المقال سندرس أهم وأحوج الطرق في الدعوة الدينية من خلال مطالعة آيات القرآن وسيرة الانبياء والاولياء المنورة. فنعرض هذه الأساليب في ثلاثة محاور: المحور النظري والمحور العملي والأساليب المركبة مؤكداً على الطرق غير المباشرة الى جانب الأساليب التبليغية المباشرة. فمن هذه الأساليب: الدعوة الى العقائد المشتركة والمبادرة في العمل الاعلامي ومكافحة خداع العوام واشاعة روح الاخوة والتخطيط الزمني للدعوة والهجرة وتأسيس مراكز لنشر الدعوة وارسال الدعاة وغيرها...

المقدمة

على الرغم من أنّ السيرة المباركة لرسول الله ﷺ تمتاز بجوانب متعددة وعبقورية فذة فان الدراسات في هذا الميدان وبهدف القاء الضوء على اساليبه في الدعوة الاسلامية لا تكاد تكون كافية كما انها مبتدئة. لا شك ان النبي الذي تعتبر رسالته خاتم الرسالات لا بد ان تكون له مجموعة من انفذ الطرق واجدى الاساليب الارشادية لتساعد الدعاة والمبلغين على مَر

العصور في هداية البشر ودالتهم على السعادة الدائمة. والذي نعثر عليه من خلال مطالعة كتب السيرة والتفسير والمصادر التبليغية في هذا المضمون لا يتجاوز سرد الوقائع والأحداث التي تقارن حياة الشخصيات القرآنية ولا يكثر بتحليل التصرفات والأعمال وكيفية تعامل هؤلاء الشخصيات مع الناس فضلاً عن الدراسة التطبيقية حول أساليب كل من

أهم الأساليب التبليغية في دعوة الرسول الاكرم (ص)

اسوة الحكم والولاية لبناء المجتمع و... فان سيد الانبياء جامع لجميع الفضائل التبليغية وهو الرسول الأمثل واسوة الجميع.

على هذا الأساس فلا شك ان دعوته ايضاً تعتبر خاتم الدعوات الالهية بحيث تشتمل على كل ما يلزم الدعاة من مواضيع ومفاهيم واساليب.

بناءً على هذه الحقيقة، وضع القرآن قيوداً (شروطاً) للتأسي والاقْتداء بالشخصيات الاسوة القرآنية ولكنه بالنسبة الى رسولنا المكرم صلى الله عليه وآله وسلم اطلق الامر بالتأسي ولم يجعل للاقتداء به شرطاً واحداً محدوداً بل عرفه بمثابة النموذج الأمثل الأجدل للإنسان الإلهي وتجسيداً حياً للرسالة الالهية الخالدة حيث قال:

﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الاحزاب / ٢١).

والذي ذُكر في ذيل هذه الآية من الرجاء بالله واليوم الآخر وذكر الله سبحانه وتعالى انما هو شرط منفعة لا قيوداً للاسوة فلا يحدد مصداقية النبي ﷺ للاسوة المطلقة الكاملة ولا يُقل من شأنه العظيم كاسوة الاسي. كما ان للاهتداء بالقرآن شروطاً لا تتوفر عند أهل الظلم بينما القرآن يتضمن الهداية للناس أجمعين.

وقد عبّر عن هذا الموضوع أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيان له حيث قال:

ولقد كان في رسول الله كافٍ لك في الاسوة (٢).

وفي نفس الوقت، انحصرت المنزلة النموذجية لشخصيات رسالية عظيمة كابراهيم عليه السلام بجوانب خاصة فمثلاً نجد القرآن يقيد مثالية ابراهيم واتباعه بجملة محدّدة مصدرّة بـ«إن» ويقيد الاقتداء به في مواقف خاصة:

﴿قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرننا بكم وبداء بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ ويرى القرآن الكريم ان ابراهيم واصحابه

الأنبياء والأولياء في دعواتهم. وذلك ما صرح به الاستاذ العلامة المطهري في كتابه «السيرة النبوية»:

«هذه الكتب التي بين أيدينا باسم السيرة انما هي كتب سير لا سيرة، إذ انه لم يُذكر فيها اسلوب النبي في السلوك والدعوة بل ذكر في جملتها الأفعال والأحداث فحسب» (١).

ولذلك السبب، فان كثيراً من ابعاد النشاط التبليغي للأنبياء والحركة الدعوية للأولياء والصلحاء بقيت غير مدروسة وبالتالي غير معروفة لحد الآن ولم تتم أي استفادة منها. بيد ان استخراج هذه الاساليب وكشف القناع عن طرق مواجهة الرسول ﷺ لشتى صنوف المخاطبين وايضاً استنباط السيرة الحقيقية لسائر الشخصيات القرآنية البارزة ستؤدي الى اعطاء احسن طرق التربية والاصلاح وأجود أساليب الهداية والارشاد لهداة الأمة وعلماء المجتمع حتى يتمكن كل منهم من اتخاذ أصلح الأساليب التربوية خاصة في المجتمع الاسلامي الزاقي.

وهذا الموضوع حملنا على القيام بدراسة حياة الأنبياء والأولياء المذكورين في آيات القرآن وسيرتهم المنورة وتتبع النشاطات والأعمال التبليغية لديهم. فهذا المقال يحتوي على أبرز طرق الدعوة الاسلامية والتي تجسّدت في محاولات الرسول الاعظم ﷺ المخلصة.

الرسول الأكرم: الاسوة للشخصيات القرآنية الاسوة

يعتبر الرسول الاكرم محمد ﷺ اكمل شخصية رسالية واعظم مبلغ رباني واجل داع الى الله قدمه القرآن الكريم.

وفي حين ان كل واحد من النماذج الانسانية التي قدمها القرآن الكريم كانت اسوة للناس في مجال أو مجالين (كابراهيم اسوة التوحيد، وكنوح اسوة الاستقامة والصمود في سبيل الدعوة، ويوسف، اسوة العفة والامانة، وسليمان، اسوة الشكر ونموذج الحاكم الإلهي، وطالوت اسوة القيادة والسلطان، وذو القرنين

أهم الاساليب التبليغية في دعوة الرسول الاكرم (ص)

فالاسوة الحسنة والشاهد والمبشر والذير والداعي والسراج المنير والرحمة للعالمين والمذكر وتالي الآيات والمزكي والمعلم والحريص على هداية الناس والرؤوف الرحيم وفي ذروتها اتصاف الرسول ﷺ بخلق عظيم هي الألقاب والأوسمة التي صرح بها في الآيات القرآنية. ويظهر من مضامين هذه الآيات ان دعوته تشمل جميع جوانب الحياة الفردية والاخلاقية والاجتماعية. ويبدو من جانب آخر ان أهم مناصبه وأشملها لصفاتها الفاضلة هو انه رحمة للعالمين، إذ ان هذه الصفة تتجلى في جميع النشاطات التبليغية وجوانب الدعوة. وهناك أيضاً آيات عدة تُعطي للرسول ألقاباً أخرى كالذكر والهادي وواضع الاصر والاغلال و...

مصادر استخراج الاساليب الدعوية للرسول (ص):

القرآن كتاب الهداية ودستور دعوة الانبياء وبالدرجة الاولى أساس دعوة النبي الخاتم ولذلك فان أصح المصادر لتلقي اساليب دعوة الرسول هو ما جاء في الآيات القرآنية وفي آيات القصص والعبر بصورة خاصة. ونحن في هذه الدراسة نركز اولاً على نص الآيات وتفسيرها وبعد ذلك سنراجع الروايات المأثورة عن المعصومين حتى نفتح الطريق للتعرف على طرق الدعوة ودراستها.

احصاء اساليب الدعوة للرسول الاكرم (ص) وتنوعها

من الطبيعي ان شمول الدعوة النبوية وخاتمتها يؤديان الى كثرة الاساليب وتعدد الطرق الموصلة الى غايات الدعوة بالقياس الى سائر النماذج القرآنية الرائعة. وهذا التكثر يصل الى حد يقتضي دراسات واسعة، والجهود التي بذلها الدارسون والكتّاب لحد الآن في هذا المجال لم تنل إلا غيضاً من فيض من الدعوة النبوية.

وعلى أي تقدير قد استخرجنا في دراسة تناولت

المخلصين اسوة لكل المؤمنين حتى النبي الخاتم ايضاً في الالتزام بالتوحيد والبراءة من الشرك والمشركين وهكذا سائر الانبياء قد شملتهم العناية القرآنية مخاطباً الرسول الاكرم ﷺ بلفظة «وانكر» أو «اذ» والهدف منهما توجيه الناس نحو الاهتداء والاعتبار بحياتهم وسيرتهم غير انه لا تفهم منها التبعية المطلقة وفي كل الظروف. وعلى اية حال يؤكد القرآن على ضرورة التأسّي العام بالانبياء السابقين كما جاء في سورة الانعام ولزوم الاهتداء بهديهم بعد ذكر اغلبية الانبياء المذكور اسماءهم في القرآن:

﴿اولئك الذين هدى الله فبهم اقتده﴾ (الانعام / ٩٠).

المناصب التبليغية للرسول (ص) في القرآن الكريم

ان الرسول يتفرد بعدد من مناصب ومدارج ومراتب سامية في الدعوة ضمن الآيات القرآنية ويمكن ان نسمى الالقاب والعبارات النازلة بهذا الصدد بالأوسمة التبليغية وهي متنوعة لكثرة ابعاد دعوته وجامعة لاشتمالها على متطلبات ابناء البشر في كل عصر ونذكرها في ما يلي:

- ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾ (الاحزاب

/ ٢١).

- ﴿يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً﴾ (الاحزاب / ٤٥).

- ﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الانبياء / ١٠٧).

- ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب

والحكمة﴾ (الجمعة / ٢).

- ﴿انما أنت مذكر﴾ (الغاشية / ٢١).

- ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم

حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (التوبة / ١٢٨).

وزبدة المخاض في هذا المجال ما جاء في سورة القلم حيث يقول عز من قائل:

﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾ (القلم / ٤).

وحدانية الله مستدلاً بالآيات القرآنية ومستعيناً بالوحي الإلهي:

﴿ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ (حج / ٧٣).

﴿أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً﴾ (مائدة / ٧٦).

وهكذا عشرات الاحتجاجات من هذا القبيل.

٢- الدعوة الى العقائد المشتركة:-

من اجل ايجاد طريق الى قلوب المخاطبين وافكارهم كان النبي بصدد تبين المواقف المشتركة الاعتقادية والاخلاقية حتى يجعلها جسراً للوصول الى المناظرة المنهجية والى صلة اعمق بينه وبين الناس، ولذلك نجده في مواجهة اليهود والنصارى يؤيد عقائدهم الصحيحة كما يحكي القرآن عن ذلك قائلاً:

﴿قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا تعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله﴾ (ال عمران / ٦٤).

﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (عنكبوت / ٤٥).

يقول أحد العلماء في هذا المجال:

«يؤكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على التوحيد وهو القدر المشترك في الاديان السماوية بدل ان يبدأ بطرح مواضع الاختلاف فيثير العصبية»^(٣).

٣- اللقاء الشك في نفوس المخاطبين:

ان البساطل كالزبد على الماء يُفنى بسرعة والنبي ﷺ يستعين بهدي القرآن فيستخدم هذه الطريقة:

﴿قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وأنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (السبا / ٢٤).

يقول أحد الباحثين:

«وفي هذه الآية لا يواجه الكفار بالتحدى والهجوم

هذا الموضوع حوالى خمسين اسلوباً للدعوة الخاتمة من الطرق الاساسية المتخذة كاستراتيجيات دعوته والاساليب الجزئية القطعية، وفي هذا المقال سنتعرض لأبرزها في محاور ثلاثة علماً بأننا على أساس المطالعات الجارية نعتقد انه يمكن استنباط أكثر مما استخرجنا لحد الآن بعشرات بشرط الدقة والدراسة العميقة. والمحاور والاساليب البارزة هي كما يأتي:

المحور الأول: الأساليب البيانية

المراد من الأساليب البيانية طرق لا يمكن تنفيذها إلا بالقول والكلام ولا شك ان هذه الطرق لوحدها لا تستطيع ان توصل العملية الاعلامية الى نتيجة مطلوبة بل من الضروري وجود التنسيق والعلاقة الوثيقة بين تلك الطرق وبين الاساليب العملية، وهكذا الطرق المركبة - كما سيأتي - لان ذلك يسهل طريق الدعوة ويؤدي الى نتائج قيّمة. ومن هذا المنطلق نحاول في ما يلي عرض أهم الأساليب المندرجة تحت اطار الدعوة المباشرة في دعوة النبي الخاتم ﷺ:-

١- التصريح بالعقائد عبر استدلال منطقي:-

يظهر من الآيات القرآنية والسيرة النبوية المطهرة ان النبي في المرحلة الاولى للدعوة صرح بعقائده التوحيدية عبر احتجاجات عقلية واستدلالات متينة مع الاعتناق بمبادئ المنطق السليم، في محاولة لاقتناع الناس. من هذا المبدأ:

﴿قل انما أمرت أن اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب﴾ (رعد / ٣٦)

وكما جاء في كتب السيرة كان حضرته يتجول في الطرق والاسواق في مكة وحواليها داعياً الى معتقده؛ عبادة الله وحده ونفي العبودية والخضوع للاصنام ومن جملة هتافاته البارزة:

قولوا لا اله إلا الله تفلحوا

وهو هتافٌ بصريح العقيدة. وكذلك يؤكد على

أهم الأساليب التبليغية في دعوة الرسول الأكرم (ص)

١ - عدم الانحياز في المبادئ:

عندما تعرضت المبادئ الفكرية والأصول العقائدية والعملية كالتوحيد والمعاد والعدالة بمخالفة المشركين وعنادهم لم يظهر ادنى محايدة ومرونة من جانب الرسول ﷺ كما يروي صاحب مجمع البيان قصة مراجعة أهل مكة للنبي وتحريضه على ترك دعوته إزاء أموال هائلة يعطونها له إذا خضع لطلبهم (٤).

من ناحية أخرى اتخذ حضرته الطريقة الموضوعية ولم يخضع للمساومة والتقاعد عن قبول البراهين. وذكر في كتب التاريخ والسيرة روايات عديدة تحكي أن المشركين تنازلوا عن عقائدهم بشرط أن يترك النبي عيوب الأصنام ويقبل بعض عقائدهم ولكن الرسول ﷺ لم يظهر شيئاً من المرونة في أصل الديانة (٥).

ويؤكد الاستاذ مطهري في خصوص التزام الرسول ﷺ بالمبادئ واستقامته في وجه المشركين:

«إن النبي ﷺ لم يكن ليبيد أي مرونة في القضايا المبدئية بينما يواجه القضايا الشخصية بغاية المرونة والسماحة ويغض الطرف عنها ولا بد أن لا يلتبس علينا الأمران» (٦).

ويثبت التاريخ والسيرة المنورة للنبي ﷺ أن حضرته لم يتخذ سبيل المداينة والمحايدة في موقف من المواقف وذلك على الرغم من الحيل والأساليب المكارة المتخذة من جانب العدو من قبيل التحبيب والتطميع والتهديد والتعذيب وفي نهاية المطاف الحصر الاقتصادي والاجتماعي.

٢ - البراءة من الشرك والمشركين:

حينما تحقق إعلان الدعوة واتخاذ الأساليب المتنوعة لإقناع الناس وعلى الرغم من كل ذلك لم يترك أي نتيجة ظاهرة في المخاطبين فيصل الدور إلى البراءة من المشركين وشركهم وهذا جزء من أسلوب عدم

بل يحاول خلق أجواء من الشك والتزلزل بهدف إيقاظ الفطرة لديهم وتوجيههم نحو نور الهداية. (أسلوب الدعوة في القرآن / ٧١).

ويرى في اتخاذ هذا الأسلوب قسم من المداراة والتنازل الموقت من المواقف المبدئية. ولا يخفى ما يترتب عليه من الفوائد والنتائج في رفع العصبية والتعصب العقائدي.

٤ - تصديق الديانات السابقة:

على الرغم من شمولية العقيدة الإسلامية وجامعية الدعوة النبوية لا نشاهد تبايناً وأعراضاً من جانب النبي عن معارف الأديان السابقة بل يؤكد حضرته وعلى أساس المبادئ القرآنية من قبيل (فبهديهم اقتده) يؤكد على ما جاءت به تلك الرسالات ويصدق بطابع إسلامي جديد ولا بد أن نعتبر هذا نموذجاً رائعاً للالتزام الدعوة الإسلامية بالحق والحقيقة.

ففي هذا المضمون نستمتع إلى النبي ﷺ حيث يفتخر بأنه على حنيفية إبراهيم عليه السلام:

- ﴿قل اني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ (الانعام / ١٦١).

- ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ (آل عمران / ٨١).

المحور الثاني: الأساليب المركبة (من القول والعمل)

والمراد من الأساليب المركبة ما يصدر من النبي مستمداً فيه بالعقل إلى جانب القول لاجل إيصال النداء الرباني إلى الناس وبعبارة أخرى الطريق الذي يشترك في اتخاذها الجوارح والالسنة.

وتبدو أهمية هذا المحور عندما ننظر بعين الاعتبار التأكيد القرآني للبليغ على ملازمة القول والفعل خاصة في المجالات الأخلاقية والاجتماعية. وازدواجية القول والفعل في هذا القسم من الأساليب سيضمن تأثيرها العميق بلا ادنى ريب.

أهم الأساليب التبليغية في دعوة الرسول الأكرم (ص)

القبائل من قبيل صُويد بن صامت وأياس بن معاذ وطفيل بن عمرو دوسى وعدي بن حاتم ومالك بن عوف وغيرهم.

وكان من أخطر النشاطات الدعوية للنبي الأكرم ﷺ السفر الى الطوائف لعرض الديانة الاسلامية على مواطنيه، السفر الذي لم يكد يصل الى اهدافه. اصف الى ذلك ان النبي كان يستقبل وفود القبائل والطوائف والاقطار استقبلاً حاراً ثم يعرض عليهم اصول الديانة خصوصاً في السنة التاسعة التي سميت لذلك السبب بعام الوفود حيث تشرفت بلقائه وفود من بني تميم وثقيف وغيرهم وقد رجع أغلبهم الى أوطانهم بعد قبول الدعوة.

٤ - مكافحة خداع العوام والعادات الخاطئة:

ومن الأساليب المركبة البارزة في دعوة النبي اسلوب المواجهة ضد العادات الباطلة والخرافية إذ أن الرسول ﷺ يرى اتباع العقائد المزيفة والالتزامات التافهة أعظم آفة للبشرية خصوصاً في الجزيرة العربية بل وان عبادة الاصنام من وجهة نظره ليست إلا قسماً شاخصاً من مخادعة العوام وعلى هذا الاساس شمر ﷺ عن ساعدي الجد لمكافحة هذا التيار. وها هو ابو ذر يروي ان سلمان لما رأى رسول الله وقع على قدميه وقبلهما نهاية الرسول عن ذلك قائلاً:

يا سلمان لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها انا عبد من عبيد الله^(٨).

المثل الآخر لهذه الحقيقة انه حينما مات ابراهيم ابن رسول الله ﷺ وظن الناس ان موته هو سبب كسوف الشمس، قام النبي بمخالفة هذا التفكير الخاطئ واصلاحه فقال ما مضمونه ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله و لا يموتان لموت احد^(٩). فنذ بهذا الكلام ما كانوا يزعمونه من عقيدة باطلة وخرافة زائفة. ويتعرض الاستاذ العلامة المطهري رحمه الله لهذه القضية ويقول: ان النبي لا يستهدف مواطن الضعف في الناس بل

المرونة في وجه الكفر وقد اتخذ هذا الاسلوب بدرجات من الشدة في دعوة الانبياء وعلى حسب احوال المخاطبين فنشاهد - مثلاً - البراءة الخفيفة في دعوة النبي ﷺ في الآية:

«لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد» (الكافرون / ٢ و ٣).

«لكم دينكم ولي دين» (الكافرون / ٦).

«انتم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون» (انعام / ١٩).

ونرى براءته في جموع الناس احياناً:

«وآذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله» (التوبة / ٣).

كما نرى براءته الخاصة من عمل المشركين:

«واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون» (الشعراء / ٢١٦).

٣ - المبادرة في العمل الاعلامي واستثمار جميع الفرص في الدعوة:

من جملة استراتيجيات الدعوة النبوية المبادرة في اغتنام الفرصة والنشاط التبليغي الجاد في توسيع نطاق الدعوة فمن جانب يستهدف جذب قلوب الناس بمعنوية عالية ووجه بشاش ومن جانب آخر يتوجه الى اجتماع القبائل والطوائف المختلفة ويجلس معهم ويعاشرهم بتبليغ الدعوة بدل ان يبقى في زاوية وينظر قدوم المراجعين، انه كان يبحث دوماً عن القلوب الواعية المتألّمة والآذان الصاغية والنفوس العطشى لشهد الهداية في كل مكان. وهذا امير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن هذه الحقيقة ويقول:

«طيب دؤار بطبه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه... متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»^(٧).

وقد نقلت كتب السيرة شواهد كثيرة من دعوة الرسول ﷺ للأفراد والقبائل، كدعوته لاشراف

وكان علماء اليهود واحبارهم يستلثون النبي بتعنت ويعرضون عليه شبهاً بهدف التباس الحق والباطل والنبي يجيب عليهم بهداية القرآن^(١٤).

وقد روى أيضاً العلامة المجلسي في «بحار الانوار» ان زوجة أبي لهب كانت بصدد الانتقام من النبي ﷺ وهجوه بعد نزول سورة المسد فسوّت النبي في شعر لها بـ (مذمّم) بدلاً من (محمّد) ولم يكن ردّ النبي عليها إلاّ من الكرام وقول السلام فتعوذ بالله وقال: هؤلاء يذمون مذمّماً وأنا محمد^(١٥).

كما انه واجه الشتم والحدة من جانب القادمين عليه بعطوفة بالغة الأثر ويأمر الصحابة باداء حاجاتهم حين استقبالهم.

٦- اشاعة روح الاخوة:

بناء على التوجيهات القرآنية القيّمة التي من جملتها: ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ (حجرات / ١٠) فان الرسول ﷺ يحاول ومن كل ناحية اشاعة روح الاخوة الاسلامية في تفكير المسلمين وسلوكهم. فمن جانب يؤكّد حضرته على تعميق معنويات التلاحم والتعاطف والتحاب والتلاقي والتصافح واغاثة الملهوف واعانة المضطر وينهى عن الاعراض والاتهام والنميمة واتخاذ الحيلة والكذب والمفاخرة. ومن جانب يقوم بعقد المؤاخاة بين المؤمنين بشكل رسمي وذلك في مرحلتين:

- المرة الاولى قبل الهجرة حيث جرى عقد المؤاخاة بين المهاجرين وهو يستقبل مهمة عظيمة وحساسة تتطلب المساعدة الشاملة والاهتمام الكامل من جانب الجماعات المسلمة. ففي هذه المرحلة قام بمؤاخاة المؤمنين اثنين اثنين: بين حمزة وزيد بن الحارثة وبين ابي بكر وعمر وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف وبين الزبير وعبد الله بن مسعود و... وبينه وبين علي، وقال ﷺ لعليّ عليه السلام: اما ترضى ان اكون اخاك؟ قال: بلى، فقال ﷺ: انت اخي في الدنيا والاخرة^(١٦).

- المرة الثانية حدثت بعد هجرة النبي صلى الله عليه

يريد ان يستفيد من مواطن القوة فيهم أي من وعيهم ويقظتهم لا من جهالتهم^(١٠).

وتعتبر قصة معاملة النبي ﷺ الاصلاحية تجاه الأفكار والعادات الخاطئة من قبيل عقيدتهم في البنات وما مزجوا مناسك الحج به من آداب الجاهلية، تعتبر نماذج أخرى تعرب عن موقفه الحاسم في نشر الحقيقة والقضاء على الباطل واصلاح الخرافة.

٥- الأواصر القلبية والاجابة الودية للمخاطبين:

مما لا شك فيه ان ابداء الرحمة والشفقة واطهار البشاشة والمحبة الخالصة تجاه المخاطبين من جملة رموز نجاح الدعوة النبوية فلا غرو انه يرى المشركين بمنزلة مرضى يحتاجون الى المعالجة ويعتبر المؤمنين اخوانه المحتاجين الى الهداية كما يعتقد ان كلا الفريقين جديران بالشفقة. ولذلك كانت معاملته اياهم في غاية العطفة والمرونة لكي يتمكن من تمهيد أرضية مناسبة في قلوبهم لقبول النداء السماوي ويخفض من شدة عناد المشركين.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الصدد:

كان النبي أجود الناس كفاً واکرمهم عشرة^(١١)

ويقول انس بن مالك أحد الصحابة المشهورين:

«وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعود المريض ويتبع الجنّاة ويُجيب دعوة العبد»^(١٢).

كما ورد أيضاً في الروايات:

وروي انه كان يقسم لحظاته بين أصحابه ولا يجلس اليه أحد وهو يصلي إلاّ خَفَّفَ صلّاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد الى صلّاته»^(١٣).

وكانت مصداقية الرسول لهذه الصفات أشدّ ظهوراً حينما كان يواجه أمواجاً من التهمة والطعن من جانب المعاندين فكلما تعرضت شخصيته لسهام الشتم واللعن والهمز واللمز من جانب الجهلاء لم يكن ردّه إلاّ بكرامة النفس وسعة الصدر وغض الطرف عن جرائمهم فلنستمع الى ابن هشام حيث يقول في سيرته:

القضايا المبدئية كان له مرونة وموقف لين في ما يتعلق بالشؤون الفردية. يؤكد العلامة المطهري في هذا المجال:

انما كانت مرونة النبي ﷺ وتسامحه في القضايا الفردية لا في القضايا الاصولية (٢٠).

ثم يذكر نماذج من هذه الخصلة في مقدمتها قصة الرجل اليهودي الذي ادعى عليه دعوى مع خشونة فحكم القاضي لصالح الرجل اليهودي لكنه بعدما شاهد قبول الحكم ورضا النبي ﷺ به تأثر بذلك واعتنق الاسلام.

ويكفي لبيان سماحته ان نمنع النظر في قول ابن مالك عندما قال:

خدمتُ النبي تسع سنين فما أعلم انه قال لي قط: هلا فعلت كذا ولا عاب عليّ شيئاً قط (٢١).

ولننظر ايضاً الى ما وصف به نفسه حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:

ان الله ارسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنناً (٢٢).

وقال ﷺ: انما انا لكم مثل الوالد لولده (٢٣).

ويعرب صاحب المنهج الحركي عن هذه الصفات بقوله: «فلولا اللين ما تألفت القلوب حوله ولا تجمعت المشاعر اليه ولولا الحلم الذي يسامح به جهلهم وضعفهم ونقصهم ولولا الدماثة والرعاية والعطف عليهم ولولا التواضع والرقّة بهم لما أمكن ان يحصل ذلك التأثير في النفوس... ثم تنفتح عليه جميعاً لتتلقى منه الرسالة وتأخذ منه الوحي وتستجيب للمبدأ...» (٢٤).

٢ - الاهتمام برفع حوائج القطاعات المختلفة في المجتمع:

لا شك ان عهد الشباب يمتلأ بمغنويات يمثلها التحرك الدائم والجهد في العمل الجماعي والانصياع للحقيقة المحضة وان الضعفاء والمساكين هم اصحاب الصداقة والخلوص وبعيدون عن الزخارف الدنيوية

وأله وسلم الى المدينة حيث اقتضت الظروف الاجتماعية تعزيز أوامر الاخاء والوحدة والتضامن بين المهاجرين والأنصار من أجل تأسيس المجتمع الاسلامي المتلاحم وتشكيل الدولة الاسلامية واعتبر المؤاخاة من أسس النظام الاسلامي الجديد فقال ﷺ: تأخوا في الله فأخذ بيد علي بن ابي طالب وقال: هذا أخي (١٧).

٧ - اكرام الأطفال والأحداث:

من جملة الخصال التبليغية التي تفرد بها الرسول ﷺ تكريم الأحداث والأطفال بالسلام واظهار الأدب وابداء العطف. فهذا هو انس بن مالك يقول بالمناسبة:

ان رسول الله كان يمر على الصبيان ويسلم عليهم (١٨).

ويصرح العالم الكبير الفيض الكاشاني في المحجة البيضاء:

وكان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف لهم ثم يأمر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك انت وراه (١٩).

ج - محور الأساليب العملية

من الأساليب المتخذة في دعوة النبي ﷺ ما تمحّض بالجانب السلوكي والعملي ولم يتدخل فيها العنصر القولي إلا قليلاً. ونحن الآن بصدد دراسة اهمها حتى نتمكن من التعرف على السيرة الدعوية لحضرته ونتطلع الى خطورة الدعوة العملية وغير المباشرة وما تترك من آثار ونتائج ونجعلها معرضاً لدراسة عميقة لدى اصحاب الرأي في ذلك:

١ - الرفق والمرونة والتسامح في الشؤون الجزئية والشخصية:

الى جانب موقف النبي المتصلب وغير المدهان في

الثالثة:- مرحلة الدعوة العلنية العامة؛ وهي بدأت بنزول آيات سورة الحجر: ﴿فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين اننا كفييناك المستهزئين﴾ (حجر / ٩٤ و٩٥). حيث أمر النبي ﷺ من خلالها بالدعوة العلنية. فبدأ في نفس الوقت دعوته المتواصلة العامة في اوساط المجتمع من جانب وابدى العدو خشونته من خلال الاشتباكات الشديدة من جانب آخر. وتختلف الروايات الواردة في كيفية ابتداء الدعوة الشاملة ونكتفي بنقل واحدة منها:

فخرج رسول الله فقام على الحجر فقال: يا معشر قريش يا معاشر العرب ادعوكم الى شهادة ان لا إله إلا الله واني رسول الله وامركم بخلع الانداد والاصنام فاجيبوني تملكون بها العرب وتدين لكم العجم وتكونوا ملوكاً في الجنة فاستهزأوا منه وقالوا: جن محمد بن عبدالله (٢٧).

٤ - الهجرة للوصول الى مجال جديد للدعوة:

يمكن ان نعد الهجرة التبليغية من مراحل الدعوة إلا ان أهميتها وتأثيرها يستدعيان مطالعة مستقلة حولها، فقد دعا النبي في مواقف متعددة الى اختيار المهاجرة من بلد لا يسمح لنجاح النشاطات التبليغية ويجبر الداعي على السكون والخمود الى بقعة يوجد فيها انفتاح اجتماعي فبادر بالهجرة ليصل الى ميدان جديد للدعوة في المناطق الاخرى بعد ان درس الظروف الزمانية والمكانية بدقة بليغة. فينبغي أن نشير الى هجرته فيما يأتي:

الهجرة الأولى:- هجرة مجموعة من المسلمين الى الحبشة.

الهجرة الثانية:- رحلة النبي ووروده الى الطائف.

الهجرة الثالثة:- هجرة الجماعة الثانية من المسلمين الى الحبشة.

الهجرة الرابعة:- هجرة المسلمين جميعاً الى المدينة.

المضلة فلذلك كان اهتمام النبي ﷺ بهم أشد اهتمام كما يبين ابن سعد في كتابه وسائر أرباب السيرة: كان أكثر من آمن به في البداية من الضعفاء والاحداث (٢٥).

بحيث كان يسبب هذا الاهتمام اعتراض ائمة الشرك على أبي طالب ويشكون إليه ان محمداً يحاول اضلال ابناءهم وشبابهم وعبيدهم واماءهم.

والجدير بالذكر ان هؤلاء الضعفاء والشبان كانوا في ذروة الاستعداد والاخلاص والتهيأ لقبول المعارف الالهية وفي طليعة هؤلاء عمار بن ياسر وصهيب بن سنان وبلال بن رباح وخباب بن الارت وعامر بن الفهيرة الذين لهم دور فعال في التطورات الحادثة للمجتمع الاسلامي المتنامي منذ ظهوره.

٣ - التخطيط الزمني للدعوة وبرمجة النشاطات:

ان التخطيط المرحلي وبرمجة النشاطات الهادفة يعتبر من الواجب على من يحاول استثمار الفرص. وقد عد بعض كتاب السيرة مراحل دعوة النبي ﷺ ضمن مرحلتين أو ثلاث مراحل:

الاولى:- مرحلة الدعوة السرية الفردية؛ وهي التي استغرقت ثلاث سنوات، وعلى أساس رأي الطبري دعى النبي منذ بداية نبوية دعوته السرية الى ثلاثة اعوام حتى أمر باعلان الدعوة وخطب بآية ﴿فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين﴾ (حجر / ٩٤) وآية ﴿وأندر عشيرتك الاقربين﴾ (شعراء / ٢١٤) (٢٦).

الثانية:- مرحلة انداز العشيرة بنزول آية ﴿وأندر عشيرتك الاقربين﴾؛ تقع هذه المرحلة بين مرحلتي الدعوة السرية والدعوة العلنية واستغرقت فترة زمنية قليلة وحاول النبي ﷺ فيها لتشبيد الصف الایمانی والخط الدفاعي السديد تجاه العدوان المتزايد من جانب المشركين. واستفاد حضرته في هذه المرحلة من اواصر القرابة القومية والعائلية والعلاقات القبيلية للحصول على حمايتهم.

والطواف وسائر العبادات الخاصة الإسلامية. أضاف إلى ذلك المحافل العائلية المحدودة وتجدر الإشارة أيضاً إلى تأسيس مسجد قباء كمركز جديد للدعوة بعد قدوم النبي ﷺ إلى المدينة أثر هجرته المباركة حتى انتهى الأمر إلى بناء مسجد النبي ﷺ الذي أصبح أهم وسط للدعوة واتخذت فيه القرارات المصيرية للدعوة إلى جانب شؤون النبوة والحكومة والقضاء. والنقطة الأخيرة المهمة هي أن النبي استفاد من هذه المراكز على مستوى واسع حسب ما تقتضيه أهدافه العبادية والسياسية والتعليمية والقضائية وحتى العسكرية.

٦- إرسال الدعاة إلى المجتمعات المدنية والقبلية:

الطريقة الأخرى التي تدل على حيوية الجهاز التبليغي للنبي الأكرم ﷺ هي إرسال عدد من المسلمين الطلائع والعارفين بمعالم الدين إلى المجموعات البشرية بعيدة كانت أم قريبة. ومن هؤلاء المبعوثين من يحمل نداء الدعوة إلى تلك الجماعات ومنهم من يقوم بمهمة تعليم المسلمين الجدد وارشادهم. وقد أرسل معاذ بن جبل إلى حمير بهذا الصدد وعمرو بن الحزم إلى بني الحارث و...

والأبرز من كل ذلك إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة بعد عهد الحديدية الأول وذلك بهدف تعليم أحكام الشريعة وقراءة القرآن، المهمة التي اعتبرت ولحد الآن أنجح عملية إرسال داعي في تاريخ الأديان الإلهية كما صرح بذلك المؤرخون: «أذ أن الدعوة النبوءة والنشاطات المؤثرة التي قام بها الشاب الداعي مصعب بن عمير والنشاطات الدعوية التي اضطلع بها المبايعون في العقبة الأولى والثانية في أوساط شعب المدينة والقبائل ساعد على اشتهاار النبي على ألسن الناس أكثر فأكثر وجعل جماعات جديدة منهم يتوجهون نحو حضرته ويستقبلون دعوته» (٣٠).

وتبعاً لذلك شكّلت هذه المجموعة المتبحرة دعماً أساسياً للنبي ﷺ في نشر التعاليم الإسلامية على

واراد حضرته ﷺ أن يحفظ أصحابه من إيذاء المشركين واستهزاءهم وملاحقة قريش حتى يأتي زمان يهين للمسلمين حرية وأمناً في دعوتهم الدينية حينما كثر عددهم وعدتهم. وها هو العالم الشهير السيد تطب يؤكد على الهدف الثاني أي الحصول على الأمن التبليغي:

«إن هؤلاء لم يهاجروا ليحفظوا دماءهم بل ليجدوا موقفاً جديداً للدعوة ولبيان نداء التوحيد ولأنهم كانوا مستظهيرين بقبائلهم وكل واحد منهم ينتمي إلى قبيلة أو طائفة» (٢٨).

والنقطة الأخيرة هي أن هذه الهجرات وبصورة خاصة هجرة المسلمين الثانية إلى الحبشة وهجرة النبي إلى المدينة في السنة الثالثة عشرة قد وقعت بعد مطالعة شاملة ودراسة عميقة للظروف الراهنة في مكة والحبشة والمدينة واستهدفت الحفاظ على النواة المركزية لتكواثر الأتولى المخلصة للدعوة لذلك الهدف الذي تحققت بصورة كاملة.

٥- تأسيس مراكز لنشر الدعوة:

لأجل الوصول إلى تخطيط نشاطات الدعوة وتركيزها نحو الغايات المطلوبة قام النبي ﷺ بإيجاد مراكز مخصصة بتبليغ نداءاته الربانية. فيعتبر بيت أرقم ابن أبي الأرقم أول مركز للمسلمين الطلائع حيث يجتمعون فيه لاستماع الآيات القرآنية النازلة والتوجيهات النبوية القيمة:

بعد أن أسلم الأرقم - وهو سابع من آمن برسالة النبي ﷺ كما صرح به نفسه - جعل بيته مركزاً للقاء النبي وأصحابه لتنسيق الشؤون التبليغية والتعليمية للمسلمين انطلائع وقد أسلم عدد كبير منهم في هذا البيت وثبت أسلامهم، ويقع البيت في جوار جبل الصفا وعلى أساس ذلك سُمي بدار الإسلام (٢٩).

وفي عهد الدعوة العلنية يعتبر المسجد الحرام أهم مراكز الدعوة حيث اشتغل المسلمون فيه بالصلوة

وأحد والأحزاب، وإلى جانب ذلك يؤكد على ذلك كطريقة دينية وفضيلة أخلاقية حتى يقتدي بها الناس في صحبتهم.

٨- الاعطاء للأشخاص والقبائل والوفود:

يجدر بنا أن نلمس بيان هذه الطريقة من علي بن أبي طالب قرينه وابن عمه الذي عاش في حواره طوال حياته الشريفة حيث يقول: كان رسول الله ﷺ أحود الناس كفاً وأكرمهم عشرة من خالطه فعرّفه أحبه (٣٣).

وكان صلى الله عليه وآله يعطي للسائل قبل أن يسئل فعلى سبيل المثال اعطى وفد بني تميم الذين جاؤوه لقبول الإسلام هدايا قيمة كما بذل ما في يديه لقبائل جرش وهمدان وسلامان ووفد قبيلة طي الذين تشرفوا بحضوره لاستماع دعوته (٣٤).

٩- الاكتفاء بأقل العيش:

لا يتوقع من شخصية ربانية كرسول الله ﷺ إلا أن يتخلى عن زخارف الدنيا الدنية بشئى أقسامها ويتجنب أي نوع من التكلف ويكتفي بأقل مراتب المعاش. فقد جاء في سفينة البحار:

كان صلى الله عليه وآله وسلم ينام على حصير ليس تحته شيء غيره (٣٥).

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: كان رسول الله يمص النوى بفيه ويفرسه (٣٦).

ويصر على اجتناب التجميل كما يخبرنا ابن مسعود:

أتى النبي رجل يكلمه فارعد فقال: هون عليك فلست بمك (٣٧).

وهكذا يروي ابن هشام انه صلى الله عليه وآله لما وصل الى بيت ابي ايوب الانصاري في المدينة ليلة الهجرة اختار الطابق الاسفل من البيت كمنزله وكما اصر أبو أيوب على سكناه في الطابق الأعلى لم يكن رده إلا ان قال: «يا أبا أيوب أن أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون في سفلى البيت. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله في سفله وكنا فوقه في

مستوى المدينة وجعل دائرة الدعوة تتوسع وتزداد دائماً.

٧- رعاية الأدب والاحترام لشخصيات المخاطبين

وآراءهم:

لا يوجد في سيرة أي شخصية تاريخية كما في سيرة رسول الله ﷺ من التزام الأدب والاحترام للانسان المقابل النابع من صميم الاعتقاد. فها هي النصوص التاريخية تشهد على ان حضرته لم يترك جانب الأدب والحرمة الانسانية قط حتى في مواجهة الكفار والمشركين. ولا غرو ان أعتبر ذلك من أسباب نجاحه في شتى مراحل الدعوة.

وليس سبب هذا الالتزام برعاية حرمة الانسان إلا ما جاء في القرآن من التأكيد على مكانة الانسان وعظمة كيانه وخلافته الالهية في أكثر من آية وسورة، والنبي ﷺ متصف بالاخلاق القرآنية بحيث انه يعد قرآناً متجسداً كما اشتهر انه كان خلقه القرآن:

- ﴿قولوا للناس حسناً﴾ (بقره / ٩٣).

- ﴿اذهبا الى فرعون فقولا له قولاً لينا﴾ (طه / ٤٤).

وبالمناسبة نركب «سفينة البحار» ونقرأ فيها: روي ان اعرابياً جاء النبي ﷺ يطلب منه شيئاً فاعطاه ثم قال: احسنتُ اليك قال الاعرابي: لا ولا اجملت، فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئاً... (٣٨).

وبنفس السبب كان صلى الله عليه وآله وسلم يتحرى آراء المؤمنين ومشوراتهم في شتى النواحي التي أخص من بينها الاجتماعية والسياسية ويحاول ان يستفيد من رؤيتهم الخاصة في مجالات الحياة كما جاء في الخبر:

ان رسول الله كان يستشير اصحابه ثم يعزم على ما يريد (٣٩).

شاور الناس في الحروب والجوانب الاخرى من الحياة الاجتماعية والدينية حيث خضع لرأيهم في بدر

أهم الاساليب التبليغية في دعوة الرسول الاكرم (ص)

المسكن...» (٣٨).

الهوامش

- ١- مرتضى مطهري، سيرى در سيرة نبوى، صدرًا، تهران، ١٣٦٦، ص ٤٨.
- ٢- السيد الرضى، نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠، ص ٢٢٦.
- ٣- محمد حسين فضل الله، اسلوب الدعوة في القرآن الكريم، دار الزهراء، بيروت، ١٣٩٩، ص ٧٠ و ٧١.
- ٤- فضل ابن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الاضواء بيروت، ج ٤، ص ٢٧٩.
- ٥- السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ج ٦، ص ٣٦٥٩.
- ٦- مرتضى مطهري، سيرى در سيرة نبوى، ص ٢٢٦.
- ٧- السيد الرضى، نهج البلاغة، فيض الاسلام، الخطبة ١٠٧، ص ٣٢١.
- ٨- محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، در احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ ق، ج ٧٦، ص ٦٣.
- ٩- جعفر سبحاني، فروغ ابدیت. دفتر تبليغات اسلامي، تهران، ١٣٥١، ص ٨٠٣.
- ١٠- مرتضى مطهري، سيرى در سيرة نبوى، صدرًا، تهران، ١٣٦٦، ص ١٣٦.
- ١١- المجلسي، بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٣١.
- ١٢- جعفر مرتضى العاملي، السيرة الصحيحة للنبي الاكرم، ص ٢٦٢.
- ١٣- محمد حسين الطباطبائي، سنن النبي، محمد هادي فقهي، كتاب فروشى اسلاميه، ١٣٦٢ ش، ص ٤٧.
- ١٤- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥١٣.
- ١٥- المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٧٦.
- ١٦- علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٢٠.
- ١٧- ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٢٤.
- ١٨- ميرزا حسين النوري، مستدرک الوسائل، چاپ دوم، بيروت، ١٤٠٨ ق، ج ٢، ص ٤٨.
- ١٩- الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء في تهذيب احياء، دفتر انتشارات، سلامي، ج ٣، ص ٣٦٦.
- ٢٠- مرتضى مطهري، سيرى در سيرة نبوى، ص ٢٣٨.
- ٢١- العلامة الطباطبائي، سنن النبي، ص ٥٢.
- ٢٢- الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص ٣٣.

* * *